مخطوطة

معارج الوصول

المؤلف

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية)

4418/3

٤٤١٨/٢
فصل يتعلم
بأصل
الأصول
مصر

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

قال الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس احمد بن شيخ الاسلام شهاب الدين ابي المحاسن عبد الحليم بن مجد الدين ابي البركات عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن محمد بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي رحمه الله ونور ضريحه وهو مسجى به بقلعة دمشق متاخرا

فصل في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين اصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله فان هذا الاصل هو اصل اصول العلم والايمان وكل من كان اعظم اعتصاما بهذا الاصل كان اولى بالحق علما وعملا ومن كان النور عن الحق علما وعملا كالقرامطة والمتفلسفة الذين يصفون ان الرسل ما كانوا يعلمون حقايق العلوم الالهية والكلية وانما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة ويقولون خاصة النبوة هي التخييل ويجعلون النبوة افضل من غيرها عند الجمهور لا عند اهل المعرفة كما يقول هذا ونحوه الفارابي وامثاله مثل مبشر ابن فاتك وامثاله من الاسماعيلية واخرون يعترفون بان الرسول علم الحقايق لكن يقولون لم يبينها لكن بل اخاطب الجمهور بالتخييل فيجعلون التخييل في خطابه لا في علمه كما يقول ذلك ابن سينا وامثاله واخرون يعترفون بان الرسول علم الحق يح وبينوه لكن يقولون لا يمكن معرفته من كلامهم بل يعرف بطريق اخر اما المعقول عند طايفة واما المكاشفة عند طايفة اما قياس فلسفي واما خيال صوفي ثم بعد ذلك ينظر في كلام الرسول فما وافق ذلك قبل وما خالفه اما ان يفوض واما ان يؤول وهذه طريقة كثير من اهل الكلام الجهمية والمعتزلة وهي طريقة خيار الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل والكذب لكن يدخلون في التاويل وابو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه طرق الناس في التاويل وان الفلاسفة زادوا فيه حتى انحلوا وان الحق بين جمهور الحنابلة وبين انحلال الفلاسفة وان ذلك لا يعرف من جهة السمع بل يعرف الحق بنور يقذف في قلبك ثم ينظر في السمع فما وافق ذلك قبلته والا فلا كان مقصوده بالفلاسفة المتاولين خيار الفلاسفة وهم الذين يعظمون

الرسول

الرسول عن ان يكذب للمصلحة ولكن هو لا وقعوا في نظير ما فروا منه نسبوه الى التلبيس والتغيية واضلال الخلق بل ان يظهر باطل ويكتم الحق وابن سينا وامثاله لما عرفوا ان كلام الرسول لا يحتمل هذه التاويلات الفلسفية بل قد عرفوا انه اراد مفهوم الخطاب سلك مسلك التخييل وقال انه خطاب الجمهور بما يخيل اليهم مع علمه ان الحق في نفس الامر ليس كذلك فهو لا يقولون ان الرسول كذبوا للمصلحة وهذا طريق ابن رشد الحفيد وامثاله من الباطنية فالذين عظموا الرسل من هو لا عن الكذب نسبوهم الى التلبيس والاضلال والذين اقروا بانهم بينوا قالوا انهم كذبوا للمصلحة واما اهل العلم والايمان فمتفقون على ان الرسل لم يقولوا الا بالحق وانهم بينوه مع علمهم بانهم اعلم الخلق بالحق فهم الصادقون المصدقون علما الحق وبينوه فمن قال انهم كذبوا للمصلحة فهم من اخوان المكذبين للرسل لكن هذا لما راى ما عملوا من الخير والعدل في العالم لم يمكنه ان يقول كذبوا لطلب العلو والفساد بل قال كذبوا لمصلحة الخلق كما يحكى عن ابن التومرت وامثاله ولهذا كان هو لا لا يفرقون بين النبي والساحر الا من جهة حسن القصد فان النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر والافعال هما خوارق هي عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب لكن الساحر يكذب للعلو والفساد والنبي عندهم يكذب لمصلحة اذ لم يمكنه اقامة العدل فيهم الا بنوع من الكذب والذين علموا ان النبوة تناقض الكذب على الله وان النبي لا يكون الا صادقا من هو لا قالوا انهم لم يبينوا الحق ولو انهم قالوا سكتوا عن بيانه لكان اقل الحاد لكن قالوا انهم اخبروا بما يظهر منه للناس الباطل ولم يبينوا لهم الحق فعندهم انهم جمعوا بين شيئين بين كتمان الحق لم يبينوه وبين اظهار ما يدل على الباطل وان كانوا لم يقصدوا الباطل فجعلوا كلامهم من جنس المعاريض الذي بها المتكلم معنى صحيحا لكن لا يفهم السامع منها الا الباطل واذا قالوا قصدوا التعريض كان اقل الحادا ممن قال انهم قصدوا الكذب والتعريض

يعني هم

الرقم:
التاريخ:
تاقوت ٥٢٢٠٩
شبكة الألوكة
www.alukah.net

من نفع الكذب اذا كان كذبا في الافهام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله وهي معاريض لفظ له عن سارة انها اختي اذ كان ليس هناك مؤمن الا هو وهي وهو لا يقولون ان كلام ابراهيم وعامة الانبياء اخبروا به عن الغيب كذب من المعاريض واما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا بل يقولون قصدوا البيان دون التعريض لكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم ان بيان الحق ليس في خطابهم بل انما في خطابهم ما يدل على الباطل والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والاشعرية ونحوهم ممن سلك في اثبات الصانع طريقة الاعراض يقولون ان الصحابة لم يبينوا اصول الدين بل ولا الرسول اما لاشتغالهم بالجهاد او لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع وبين ان اصول الدين الحق الذي انزل الله به كتابه وارسل به رسوله وهي الادلة والبراهين والايات الدالة على ذلك قد بينها الرسول احسن بيان وانه دل الناس وهداهم الى الادلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الالهية بها يعلمون اثبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله والمعاد وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالادلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالادلة العقلية وان كان لا يحتاج اليها فان كثيرا من الامور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول بين الادلة العقلية الدالة عليها فجمع بين الطريقين السمعي والعقلي وبينا ان دلالة الكتاب والسنة على اصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من اهل الكلام والحديث والفقها والصوفية وغيرهم بل الكتاب والسنة دل الخلق وهداهم الى الايات والبراهين والادلة المبينة لاصول الدين وهؤلاء الغالطون الذين اعرضوا عما في القرآن من الدلايل العقلية والبراهين اليقينية صاروا اذا صنفوا في اصول الدين احزابا يقدمون في كتبهم الكلام في النظر والدليل وانه اول النظر يوجب العلم وانه واجب ويتكلمون في جنس

النظر

النظر وجنس الدليل وجنس العلم قد اختلط فيه الحق بالباطل ثم اذا صاروا الى ما هو الاصل والدليل الذي استدلوا به وجدوه مما يعرض على حدوث الاجسام وهو دليل مبتدع في الشرع وباطل في العقل والحزب الثاني عرفوا ان هذا الكلام مبتدع وهو مستلزم مخالف للكتاب والسنة وعنه ينشأ القول بان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الاخرة وليس فوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمية فصنفوا كتبا قد مواقبها ما يدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من القرآن والحديث وكلام السلف وذكروا اشيا صحيحة لكنهم قد يخلطون الاثار صحيحها بضعيفها وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب وايضا فهم انما يستدلون بالقرآن من جهة اخباره لا من جهة دلالته فلا يذكرون ما فيه من الادلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد وانه قد بين الادلة العقلية الدالة على ذلك ولهذا سموا كتبهم اصول السنة والشريعة ونحو ذلك وجعلوا الايمان بالرسول قد استقر فلا يحتاج ان يبين الادلة الدالة عليه فذمهم اولئك ونسبوهم الى الجهل اذ لم يذكروا الاصول الدالة على صدق الرسول وهؤلاء ينسبون اولئك الى البدعة بل الى الكفر لكونهم اصلوا اصولا يخالف ما قاله الرسول والطايفتان يلحقها الملام لكونها اعرضت عن الاصول التي بينها الله بكتابه فانها اصول الدين وادلته وايات فلما اعرض عنها الطايفتان وقع بينهم العداوة كما قال الله تعالى فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيمة وحزبا ثالثا قد عرف تفريط هؤلاء وتعدي اولئك وبدعتهم فذمهم وذم طالب العلم الذكي الذي اشتاقت نفسه الى معرفة الادلة والخروج عن التقليد اذا سلك طريقهم وان طريقهم ضالة وان السلف لم يسلكوها ونحو ذلك بما يقتضي ذمها وهو كلام صحيح لكنه انما يدل على امر مجمل لا تتبين دلالته على المطلوب بل قد يعتقد طريق المتكلمين مع قوله انه بدعة ولا يفتح ابواب الادلة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التي ذكرها الله في القران التي تبين ما جاء به الرسول حق و يخرج الذكي بمعرفتها
عن التقليد وعن الضلال والبدعة والجهل مهولا اضل بقولهم انهم لم يتدبروا القران
واعرضوا عن ايات الله التي بينها بكتابه كما يعرض من يعرض عن ايات الله هـ
المخلوقة قال الله تعالى وكم من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم
عنها معرضون وقال تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون وقال
تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين
هم عن اياتنا غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون وقال تعالى
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
وقال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وقال تعالى وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
بالبينات والزبر وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ومثل هذا كثير لبسطه مواضع
اخر والمقصود ان هولاء الغالطين الذين اعرضوا عما في القران من الدلايل
العقلية والبراهين اليقينية لا يذكرون النظر والدليل والعلم الذي جاء به
الرسول والقران علموا من ذلك والمتكلمون المتكلمون يعترفون بان
في القران من الادلة العقلية الدالة على اصول الدين ما فيه لكنهم يسلكون
طرقا اخر لطريق الاعراض ومنهم من يظن ان هذه طريق ابراهيم
الخليل وهو غالط والمتفلسفة يقولون القران جاء بالطريق الخطابية
والمقدمات الاقناعية التي يقنع الجمهور ويقولون ان المتكلمين
جاءوا بالطرق الجدلية ويدعون انهم هم اهل البرهان اليقيني وهم
وهم ابعد عن البرهان في الالاهيات من المتكلمين والمتكلمون اعلم
اعلم منهم بالعلميات البرهانية في الالاهيات والكليات ولكن للمتفلسفة
في الطبيعيات خوض وتفصيل عيز وافقوا به مخالفة الالاهيات فانهم
من اجهل الناس بها وابعدهم عن معرفة الحق فيها وكلام ارسطو اعلم
فيها قليل كثير الخطا فهو لم جلس على راس جبل وعر لا سهل فيرتقي ولا

يمين فيرتقي وهذا مبسوط في غير هذا الموضع والقران جاء بالبينات
والهدى بالايات البينات وهي الدلايل اليقينيات وقد قال الله تعالى
لرسوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي احسن والمتفلسفة يغيرون ذلك بطرقهم المنطقية في البرهان
والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت في غير هذا
الموضع بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به فالقلوب التي لها فهم وقصد
تدعى بالحكمة فيبين لها الحق علما وعملا فيقبله ويعمل به واخرون هـ
يعترفون بالحق لكن لهم اهواء تصدهم عن اتباعه فهولا يدعون
بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من
الباطل والوعظ امر ونهي بترغيب وترهيب كما قال تعالى ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به وقال تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا فالدعوة بهذين الطريقين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فانه
يجادل بالتي هي احسن والقران مشتمل على هذا وهذا ولهذا اذا جادل
يسال ويستفهم عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن احدان
يجحدها لتقرير المخاطب بالحق والاعتراف بانكار الباطل كما في مثل
قوله ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون وقوله افعينا بالخلق
الاول بل هم في لبس من خلق جديد وقوله اوليس الذي خلق هـ
السموات والارض بقادر على ان يخلق المونى وقوله اليحسب الا
نسان ان يترك سدا المريك هذا نطفة من مني تمنى ثم كان علقة
فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر
على ان يحيي المونى وقوله افرايتم ما تمنون اانتم تخلقونه ام نحن الخا
لقون وقوله وقالوا لولا يانينا بايه من ربه اولم تاتهم بينة ما
الصحف الاولى وقوله اولم يكفهم انا انزلنا اليك عليك الكتاب
يتلى عليهم وقوله اولم يكن لهم اية ان يعلمه علما بنو اسرايل وقوله
الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين الى امثال

يحيي هـ

ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير المتضمن اقرارهم واعترافهم بالمقدمات
البرهانية التي تدل على المطلوب فهو من احسن الجدل بالبرهان فان الجدل
انما يشترط فيه ان يسلم الخصم المقدمات وان لم تكن بينة معروفة فاذا كانت بينة
معروفة كانت برهانية والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم
الخصم بها كما هي الطريقة الجدلية عند اهل المنطق بل بالقضايا والمقدمات
التي يسلمها الناس وهي برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها
ذكر الدليل على صحتها لقوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فان الخطاب لما كان
مع من يقر بنبوة موسى من اهل الكتاب ومع من ينكرها من المشركين
ذكر ذلك بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى وقد بين
البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع وعلى قراءة من قرا
يبدونها كابن كثير وابي عمر وجعلوا الخطاب مع المشركين وجعلوا
قوله وعلمتم ما لم تعلموا احتجاجا على المشركين بما جاء به محمد فالحجة
على اوليك بنبوة موسى وعلى هؤلاء بنبوة محمد ولكل منهما من البرا
هين ما قد بين بعضه في غير موضع وعلى قراءة الاكثرين بالتاء هو
خطاب لاهل الكتاب وقوله علمتم ما لم تعلموا بيان لما جاءت به الانبيا
مما انكروه فعلمهم الانبيا ما لم يقبلوه ولم يعلموه فاستدل باعتراضهم
من اخبار الانبيا وما لم يعترفوا وقد قص سبحانه قصة موسى واظهر
براهين موسى وايانه التي هي من اظهر البراهين والادلة حتى اعترف
بها السحرة التي جمعهم فرعون وناهيك بذلك فلما اظهر الله حق
موسى واتى بالايات التي علم بالاضطرار انها من الله وابتلعت
عصا الحبال والعصى التي اتى بها السحرة بعد ان جاءوا بسحر عظيم وسحروا
اعين الناس واسترهبوا الناس ثم لما ظهر الحق وانقلبوا صاغرين

قالوا

قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون فقال لهم فرعون امنتم به قبل ان
اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا
وابقى قالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا وهو خالقنا
وربنا الذي لا بد لنا منه لن نوثرك على هذه الدلايل اليقينية وعلى
خالق البرية فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى وقد ذكر الله
هذه القصة في عدة من المواضع مواضع من القرآن يبين في كل موضع
منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الاخر كما يسمي الله ورسوله
وكتابه باسما متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الاخر وليس في
هذا تكرير بل فيه تنويع الايات مثل اسما النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل
محمد واحمد والحاشر والعاقب والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة
في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الاخر وان كان الذات واحدة فا
لصفات متنوعة وكذلك القرآن اذا قيل فيه انه فرقان وفرقان وبيان
وهدى وبصاير وشفا ونور ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى
ليس هو المعنى الاخر وكذلك الرب تعالى اذا قيل الملك القدوس السلام
المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم
يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الاخر فالذات واحدة و
الصفات متعددة فهذا في الاسما المفردة كذلك في الجمل التامة يعبر
عن القضية بجمل يدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل اخرى تدل على
معان اخر وان كانت القضية المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة
ففي كل جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الاخر وليس في القرآن تكرار اصلا
واما ما ذكره بعض الناس من انه كرر القصص مع الاكتفا بالواحدة وكانت
الحكمة فيه ان وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقرا لهم المسلمون شيا من القرآن فيكون ذلك كافيا وكان يبعث الى القبايل

اسما ٥

في مقامات مختلفة فلو لم تكن الايات والقصص مثاني مكررة
لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فاراد الله
ان يشهر هذه القصص في اطراف الارض وان يلقيها الى كل سمع فهذا كلام
من لم يقدر القرآن قدره وابو الفرج اقتصر على هذا الجواب في قوله مثاني
لما قيل لم يثبت وبسط هذا الموضع اخرفان التثنية هو التزويج و
التخصيص وهي ايتينا الاقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الاقسام
والامثال والمقصود هنا التنبيه على ان القرآن اشتمل على اصول الدين
التي يستحق هذا الاسم وعلى البراهين والايات والادلة اليقينية بخلاف
ما احدثه المبتدعون والملحدون كما قال الرازي مع خبرته بطرق هؤلاء
لقد تاملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفي عليلا
ولا تروي غليلا ورايت اقرب الطرق طريقة القرآن في الاثبات اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح الرحمن على العرش استوى واقرا في
النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي عرف
مثل معرفتي والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين في العلم
النافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدا بافضل ذلك وهو الهدى
ودين الحق كما قاله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا وقد قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار فذكر النوعين قال الوالبي
عن ابن عباس يقول اولو القوة في العبادة قال ابن ابي حاتم وروي عن
سعيد بن جبير وعطا الخراساني والحسن والضحاك والسدي وقتادة
وابي سنان ومسلم بن يسار نحو ذلك والابصار قال الابصار الفقه
في الدين وقال مجاهد الابصار الصواب في الحكم وعن سعيد بن
جبير قال البصيرة في دين الله وكذا به وعن عطا الخراساني اولي الايدي
والابصار قال اولوا القوة في العبادة والبصر والعلم بامر الله وعن مجا
هد وروي عن قتادة قال اعطوا قوة في العبادة وفقها في الدين

وجميع

وجميع حكما الامم يفضلون هذين النوعين مثل حكما اليونان والهند والفرس
قال ابن قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل فالعلم الصحيح هو عبادة الله
وحده لا شريك له وهو الدين دين الاسلام والعلم والهدى هو تصديق
الرسول فيما اخبر به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
وغير ذلك فالعلم النافع هو الايمان والعمل الصالح هو الاسلام العلم
النافع من علم الله والعمل الصالح هو العمل بامر الله هذا تصديق الرسول
فيما اخبر وهذا طاعته فيما امر وضد الاول ان يقول على الله ما لا
يعلم وضد الثاني ان يشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا والاول اشرف
فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا قالت الاعراب امنا قل لن تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا وجميع الطوائف تفضل هذين النوعين لكن الذي
جاء به الرسول هو افضل ما فيهما كما قال ان هذا القرآن يهدي للتي هي
اقوم وبهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في ركعتي الفجر تارة سورة
الاخلاص وقل يا ايها الكافرون عبادة الله وحده وهو دين الاسلام
وفي قل هو الله احد صفة الرحمن وان يقال فيهما ويخبر عنه بما يستحقه
وهو الايمان هذا هو التوحيد القولي وذلك هو التوحيد العلمي
وكان تارة يقرا فيهما تارة في الاولى بقوله في البقرة قولوا امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد
منهم ونحن له مسلمون وفي الثانية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
قال ابو العالية في قوله فلنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال خلتان
يسئل عنهما كل احد ماذا كنت تعبد وماذا اجبت المرسلين فالاول
تحقيق شهادة ان لا اله الا الله والثاني تحقيق الشهادة بان محمدا
رسول الله والصوفية بنوا امرهم على الارادة ولا بد منها لكن هم
يشترط ان تكون ارادة عبادة الله وحده بما امر والمتكلمون بنوا امرهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على النظر المقتضي للعلم وليد منه لكن بشرط ان يكون عالما بما اخبر به الرسول
والنظر في الادلة التي دل بها الرسول وهي ايات الله ولا بد من هذا وهذا
بدون اتباع الرسول فيها فهو ضال كما قال من قال من السلف الدين والايمان
قول وعمل واتباع السنة واهل الفقه في الاعمال الظاهرة يتكلمون في العبادات
الظاهرة واهل التصوف والزهد يتكلمون في قصد الانسان وارادته
واهل النظر والكلام واهل العقايد من اهل الحديث وغيرهم يتكلمون في
العلم والمعرفة والتصديق الذي هو اصل الارادة ويقولون العبادة لا بد
فيها من القصد والقصد لا يصح الا بعد العلم بالمقصود المعبود وهذا
صحيح فلا بد من معرفة المعبود وما يعبد به فالضالون من المشركين
والنصارى وانشباههم لهم عبادات وزهادات لكن لغير الله او بغير
امر الله او بغير امر الله وانما القصد والارادة النافعة هو ارادة عبادة
الله وحده وهو انما يعبد بما شرع لا بالبدع وعلى هذين الاصلين يدور
دين الاسلام على ان يعبد الله وحده وان يعبده بما شرع لا يعبده بالبدع
واما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها على ان يعرف ما اخبر به الرسول
ويعرف ان ما اخبر به حق اما العلم بانه لا يقول الا حقا وهذا تصديق
عام واما العلم بان ذلك الخبر حق بما اظهر الله من ايات صدقه
فانه انزل الكتاب والميزان واراد الناس ايانه في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم ان القران حق فصل واما العلميات وما
تسميه ناس الفروع والشرع والفقه فهذا قد بينه الرسول احسن بيان
فما يقع كما امر الله به او ينهى عنه او حلله او حرمه الا بين ذلك وقد
قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وقال تعالى ما كان حديثا يفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يوقنون
وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين وقال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه

وقال

وقال تعالى تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله
ربي عليه توكلت واليه انيب وقال تعالى وما كان الله ليضل قوما
بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون قد بين للمسلمين جميع ما يتقونه
كما قال وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وقال تعالى
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وهو الرد الى كتاب الله
وقوله ح والى سنة الرسول بعد موته فان تنازعتم بشرط والفعل نكرة في سياق
الشرط فاي شيء تنازعوا فيه ردوه الى الله والرسول فنزل الله عليه الكتاب
والحكمة كما ذكر ذلك في غير موضع وقد علم امته الكتاب والحكمة كما قال
تعالى ويعلمهم الكتاب وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة كما قال
تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من
ايات الله والحكمة فايات الله هي القران اذ كان نفس القران يدل على
الله منزل من الله فهو علامة ودلالة على منزله والحكمة قال غير
واحد من السلف هي السنة وقال ايضا طايفة كمالك وغيره هي معرفة
الدين والعمل به وقيل غير ذلك وكل ذلك حق فهي تتضمن التمييز بين المامور
والمحظور والحق والباطل وتعليم العلم بالحق دون الباطل وهذه
السنة التي فرق بها بين الحق والباطل وبين الاعمال الحسنة من القبيحة
والخير من الشر وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تركتكم على
البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كلام نحو هذا وهذا كثير في الحديث والاثار يذكرونه
في الكتب التي يذكر فيها هذه الاثار كما يذكر مثل ذلك غير واحد
فيما يضعفون في السنة مثل ابن بطة واللالكائي والطلمنكي وقبلهم المصنفون
في السنة كاصحاب احمد مثل عبد الله والاثرم وحرب الكرماني
وغيرهم ومثل الخلال وغيره والمقصود هنا تحقيق ذلك وان الكتاب

٢ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فقد
بين سبحانه انما انزل عليه
الكتاب الا ليبين لهم الذي
اختلفوا فيه كما بين انه انزل
جنس الكتاب مع النبيين
ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه ح

ولو لم يكن بيان الله والرسول
فاصلا للنزاع لم يومروا بالرد
اليه والرسول ح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والسنة وافيان بجميع امور الدين واما اجماع الامة فهو في نفسه حق لا يجتمع
الامة على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق فان الله بعث رسله بالعدل
وانزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل
وقد ذكروا انزلنا فيه بان العباد معرفة ذلك والله ورسوله يسوي بين
المتماثلين ويفرق بين المختلفين وهذا هو القياس الصحيح وقد ضرب
الله في القرآن من كل مثل وبين بالقياس الصحيح وهي الامثال المضروبة
ما بينه من الحق لكن القياس الصحيح يطابق النص فان الميزان يطابق
الكتاب والله امر نبيه ان يحكم بما انزل وامره ان يحكم بالعدل فهو
انزل الكتاب واما انزل الكتاب بالعدل قال تعالى وان احكم بينهم بما
انزل الله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط واما اجماع الامة فهو حق
لا يجتمع الامة والله الحمد على ضلالة كما وصفها الله بذلك في الكتاب
في الكتاب والسنة فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وهذا وصف لهم بانهم
يامرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك في قوله
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وبذلك وصف المؤمنين في قوله والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلو قالت
الامة في الدين بما هو ضلال لكانت قد امرت بالمعروف في ذلك
ولم تنه عن المنكر فيه وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والوسط
العدل الخيار وقد جعلهم الله شهداء على الناس واقام شهادتهم مقام
شهادة الرسول وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر عليه بجنازة فاثنوا عليها خيرا فقال وجبت ثم مر عليه بجنازة فاثنوا
عليها شرا فقال وجبت قالوا يا رسول الله ما قولك وجبت وجبت
قال هذه الجنازة اثنيتم عليها خيرا فقلت وجبت لها الجنة

وجبت ٥

وهذه

وهذه الجنازة اثنيتم عليها شرا فقلت وجبت لها النار انتم شهداء الله في الا
رض فاذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل فاذا شهدوا ان
الله امر بشيء فقد امر به واذا شهدوا ان الله نهى عن شيء فقد نهى
عنه ولو كانوا يشهدون بباطل او خطا لم يكونوا شهداء الله في الارض
بل ذكاهم الله في شهادتهم كما زكا الانبياء في ما يبلغون عنه وقال تعالى
واتبع سبيل من اناب الي والامة منيبة الى الله فيجب اتباع سبلها
وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فرضي عمن اتبع السابقين
الى يوم القيامة فدل على ان متابعهم عامل بما يرضي الله والله لا يرضى
الا بالحق لا بالباطل وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم
وساءت مصيرا وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأثرها
عنه كثيرا قال سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر
من بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة
الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا النظر في راي من
خالفها فمن خالفها واتبع غير سبيل المومنين ولاه الله تعالى ما تولى
واصلاه جهنم وساءت مصيرا وكان الشافعي رضي الله عنه لما جرد الكلام
في اصول الفقه احتج بهذه الاية على الاجماع كما كان يسمع هو وغيره
من مالك ذكر ذلك عن عمر بن عبد العزيز والاية دلت على ان متبع
غير سبيل المومنين مستحق للوعيد كما ان مشاق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى مستحق للوعيد ومعلوم ان هذا الوصف يوجب
الوعيد بمجرده فلو لم يكن الوصف الاخر يدخل في ذلك لكان لا فايدة
في ذكره وهنا للناس ثلاثة اقوال قيل اتباع غير سبيل المومنين
هو بمجرد مخالفة الرسول المذكورة في الاية وقيل بل مخالفة الرسول
مستقلة بالذم فكذلك اتباع غير سبيلهم مستقل بالذم وقيل بل اتباع

انهم لا يقولون عليه الا الحق
ولذلك الامة لا تشهد على
الله الا بحق صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

غير سبيل المومنين يوجب الذم كما دلت عليه الاية لكن هذا لا يقتضي
مفارقة الاول بل قد يكون مستحبا له فكل متابع غير سبيل المو
منين هو في نفس الامر مشاق للرسول وكذلك مشاق الرسول
متبع غير سبيل المومنين وهذا كما في طاعة الله والرسول فان
طاعة الله واجبة وطاعة الرسول واجبة وكل واحد من معصية
الله ومعصية الرسول موجب للذم وهما متلازمان فانه من
يطع الرسول فقد اطاع الله وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن اطاع اميري
فقد اطاعني ومن عصاني فقد عصا الله ومن عصا اميري فقد عصاني
وقال انما الطاعة في المعروف يعني اذا امر امير المومنين بالمعروف
من طاعتي وكل من عصى الله فقد عصى الرسول فان الرسول يامر
بما امر الله به بل من اطاع رسولا واحدا فقد اطاع جميع الرسل ومن
امن بواحد منهم فقد امن بالجميع ومن عصا واحدا منهم فقد عصى
الجميع ومن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع لان كل رسول يصدق
الاخر ويقول انه رسول صادق ويامر بطاعته فمن كذب رسولا فقد كذب
الذي صدقه ومن عصاه فقد عصا من امر بطاعته ولهذا كان دين الانبيا
واحدا كما في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان
اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى
فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا
الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب

بما

بما لديهم فرحون ودين الاسلام بنيا كلهم للاسلام كما اخبر الله بذلك في غير
موضع وهذا الاسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما
امر به في ذلك الوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذاك واستقبال
بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما امر باستقبال الكعبة
صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام
ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق
رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل او منسوخ وهكذا كل مبتدع دينا
خالف به سنة الرسول ليس الا دينا مبدلا منسوخا فكل ما خالف ما جاء به
الرسول اما ان يكون ذلك كان مشروعا لنبي ثم نسخ على لسان محمد قدم
واما ان لا يكون شرع قط فهذا كالاديان التي شرعها الشياطين على السنة
اوليائهم قال تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله وقال
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون
وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
ولهذا كان الصحابة اذا قال احدهم برايه شيئا يقول ان كان صوابا
فمن الله وان كان خطأ فمن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال فمني حم
ذلك بن مسعود وروي عن ابي بكر وعمر فالاقسام ثلاثة اما ان يكون
هذا القول موافقا لقول الرسول او لا يكون واما ان يكون موافق
لشرع غيره واما ان لا يكون فهذا الثالث المبدل كاديان المشركين
والمجوس وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت
وتحريم كل ذي ظفر وشحم الثرب والكليتين فان اتخاذ السبت عيدا وتحريم
هذه الطيبات قد كان شرعا لموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان
حراما في شرع موسى واما محمد فكر فقال الله فيه الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال
كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه
اولئك هم المفلحون والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط
كما قال واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وكذلك ما كان يحرمه اهل الجاهلية
مما ذكره الله في القرآن كالسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك هو
من الدين المبدل ولهذا لما ذكر الله ذلك عنهم في سورة الانعام بين
ان من حرم ذلك فقد كذب على الله وذكر تعالى ما حرمه على لسان
محمد وعلى لسان موسى في الانعام فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على
طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس
او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور
رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك
جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكذلك قال بعد هذا وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل فبين ان ما حرمه المشركون
لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد وهذان هما اللذان
جاءا بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله
هو اهدى منهما اتبعه وقال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة
وقال تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الى قوله وهذا كتاب
انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه وقالت الجن لما سمعوه
القرآن انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وقال ورقة بن نوفل ان هذا
والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشي
فالقرآن والتوراة هما كتابا جاءا من عند الله لم يات من عند الله كتاب

واتبعوا

اهدى

اهدى منهما كما منهما اصل مستقل والذي فيهما دين واحد وكل منهما يتضمن
اثبات صفات الله تعالى والامر بعبادته وحده لا شريك له ففيه التوحيد
قولا وعملا كما في سورتي الاخلاص قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
واما الزبور فان داود لم يات بغير شريعة التوراة وانما في الزبور ثناء على الله ودعا
وامر ونهي بدينه وطاعته وعبادته مطلقا واما المسيح فانه قال ولاحل لكم بعض
الذي حرم عليكم فاحل لهم المحرمات وهو في الاكثر متبع لشريعة التوراة ولهذا
لم يكن يجد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ التوراة ويتبع ما فيها اذ كان الانجيل اتباعا لها
واما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج اصحابه الى كتاب اخر بل استقل على جميع
ما في الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب فلهذا كان مصدقا لما
بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه يقر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ
ما نسخه الله فيقر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم
يكن فيها والقليل الذي نسخ منها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم
المقرر والانبياء كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سايرهم
وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سايرهم وكذلك التكذيب والمعصية لا
يجوز ان يكذب نبي نبيا بل ان عرف صدقه والا فهو يصدق بكل انزل الله
مطلقا وهو يامر بطاعة من امر الله بطاعته ولهذا كان من صدق محمدا فقد
صدق كل نبي ومن اطاعه فقد اطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه
فقد عصا كل نبي قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وقال تعالى افتؤمنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا
ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ومن كذب
هودا فكذب بالجنس الرسالة فقد صرح بانه يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين ولم يرسل قبل نوح احد وقال تعالى وقوم نوح لما
كذبوا الرسل اغرقناهم وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا

بعض صح

اليهم صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والنفاق

والنفاق يتبعض والكفر يتبعض ويزيد وينقص كما ان الايمان يتبعض ويزيد وينقص قال الله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر وقال واما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون وقال وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقال وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقال في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقال ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا وكثير من المصنفين في الكلام لا يدرون على اهل الكتاب الا ما يقولون انه يعلم بالعقل مثل تنكيث النصاري ومثل تكذيب محمد لا ينا ظرونهم في غير هذا من اصول الدين وهذا تقصير منهم مخالفة لطريقة القرآن فان الله يبين في القرآن ما خالفوا به الانبياء ويذمهم على ذلك والقرآن مملوء من ذلك اذ كان الكفر والايمان يتعلق بالرسالة والنبوة فاذا تبين ما خالفوا فيه الانبياء ظهر كفرهم واولئك المتكلمون لما اصلوا لهم دينا بما احدثوه من الكلام الذي لا اسند لا بالاعراض على حدوث الاجسام ظنوا ان هذا هو اصل اصول الدين ولو كان ما قالوه حقا لكان ذلك من الدين حقا فكيف اذا كان باطلا وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للانبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر ولهذا قيل فيه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح فخطابهم في مقامين احدهما تبديلهم لدين المسيح والثاني تكذيبهم لمحمد واليهود خطابهم في تكذيب من بعد موسى الى المسيح ثم في تكذيب محمد كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم ثم قال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق

فقليلا ما يؤمنون

جزاء

فهولاء

والنفاق

ما عرفوا كفروا به
فلعنة الله على الكافرين ثم ذكر انهم اعرضوا عن كتاب الله مع علمهم به
واتبعوا السحر فقال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم نبذ
فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الى قوله ولقد علموا لمن
اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون
ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون والنصارى
تعمد على المقلوب تارك الذي ابتدعوه وعلى تكذيب الرسول والرهبانية
التي ابتدعوها ما حمدهم عليها اذ كانوا قد ابتدعوها وكل بدعة ضلالة لكن هم
اذا كان صاحبها قاصد الحق فقد يعفى عنه فيبقى عمله ضائعا لا فائدة فيه
وهذا هو الضلال الذي يعذر صاحبه فلا يعاقب ولا يثاب ولهذا قال
غير المغضوب عليهم ولا الضالين فان المغضوب عليه يعاقب بنوع الغضب
والضال فاته المقصود وهو الرحمة والثواب ولكن قد لا يعاقب ذلك
بل يكون ملعونا مطرودا ولهذا في حديث زيد بن عمرو بن نفيل ان اليهود
قالوا له لن تدخل في ديننا حتى تاخذ نصيبك من غضب الله وقالوا له
النصارى حتى تاخذ نصيبك من لعنة الله وقال الضحاك وطائفة ان
جهنم طبقات فالعليا لعصاة هذه الامة والتي تليها للنصارى والتي
تليها لليهود لتجعلوا اليهود تحت النصارى والقرآن قد شهد بان
المشركين واليهود اشد عداوة للذين امنوا من الذين قالوا انا نصارى
وشدة العداوة زيادة في الكفر فاليهود اقوى كفرا من النصارى وان
كان النصاري اجهل واضل لكن اولئك يتقاربون على علم منهم اذ كانوا عرفوا
الحق وتركوه عنادا وهؤلاء بالضلال رحموا اجر المهتدين ولعنوا وطردوا
عما يستحقه المهتدون فاذا اقامت عليهم الحجة فلم يؤمنوا استحقوا العقاب
اذ كان اسم الضلال عاما وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث
الصحيح في خطبة يوم الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد

وشر

وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولم يقل وكل ضلالة في النار بل يقل
عن الحق من قصده الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب وقد يفعل بعض
ما امر به فيكون له اجر على اجتهاده وخطاه الذي ضل فيه عن حقيقة
الامر معفو عنه وكثير من مجتهدي سلف الخلق قد قالوا وفعلوا ما هو
بدعة ولم يعلموا انه بدعة اما الاحاديث صنفوها صحيحة
واما الايات فهموا منها ما لم يرد منها واما لرأي رأوه وفي المسئلة
نصوص لم تبلغهم واذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا وفي الصحيح ان الله قال قد فعلت
وبسط هذا له موضع اخر والمقصود هنا ان الرسول بين جميع الدين
بالكتاب والسنة وان الاجماع اجماع الامة حق فاذا اجتمع على
ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق يوافق الكتاب والسنة والادلة
المشهورة التي يحتج بها على الاجماع قوله ومن يشاقق الرسول من
بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ومن
الناس من يقول انها لا تدل على مورد النزاع فان الذم فيها لمن
جمع الامرين وهذا لا نزاع فيه او لمن اتبع غير سبيل المومنين
التي بها كانوا مومنين وهي متابعة الرسول وهذا لا نزاع فيه او ان
سبيل المومنين هو الاستدلال بالكتاب والسنة وهذا لا نزاع فيه
فهذا ونحوه لا يدل على محل النزاع واخرون يقولون بل يدل على وجوب
اتباع المومنين مطلقا وتكلفوا بذلك ما تكلفوه كما قد عرف كلامهم
ولم يجيبوا عن اسئلة اولئك باجوبة شافية والقول الثالث
الوسط انها تدل على وجوب اتباع سبيل المومنين وتحريم اتباع
غير سبيلهم ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد ما تبين له
الهدى وهو يدل على ذم هذا وهذا كما تقدم لكن لا ينتفي تلازمهما كما ذكر
في طاعة الله والرسول وحينئذ يقول الذم اما ان يكون لاجل المشاقة
الرسول فقط او لاتباع غير سبيلهم فقط او ان يكون الذم لا يلحق بواحد

مطلب
فيمن اجتهد فقصد الحق واخطأ فهو معفو له

كل من هم

قول من يقول هم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

منهما بانهما اذا اجتمعا او يلحق الذم بكل منهما وان انفرد عن الاخر او بكل منهما لكونه مستلزما للاخر والاول باطل لانه لو كان الموبخ احدهما فقط كان ذكر الاخر ضايعا لا فايدة فيه وكون الذم لا يلحق بواحد منهما باطل قطعا فان مشاقة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عن من اتبعه ولحوق الذم بكل منهما وان انفرد عن الاخر لا يدل عليه الا به فان الوعيد فيها انما هو على المجموع بقي القسم الاخر وهو ان كلا من الوصفين يقتضي الوعيد لا مستلزم للاخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول ومخالفة القران والاسلام فيقال من خالف القران والاسلام او من خرج عن القران والاسلام فهو من اهل النار ومثله قوله ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا فان الكفر بكل من هذه الاصول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله كفر بالجميع ومن كفر بالملايكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله اذ كذب رسله وكتبه وكذلك اذا كفر باليوم الاخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا وكذلك قوله يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ذمهم على الوصفين وكل منهما مقتض للذم وهما متلازمان ولهذا نهى عنهما جميعا في قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون فانه من لبس الحق بالباطل فغلط به فقد لزم ان يكتم الحق الذي تبين ان هذا باطل اذ لو بينه زال الباطل الذي لبسه الحق فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المومنين من شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه ايضا فانه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على انه وصف موثر في الذم فمن خرج عن اجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا والاية توجب ذم ذلك واذا قيل هي انما ذمته مع مشاقة الرسول قلنا لا تهما متلازمان وذلك لان كل ما اجمع عليه المسلمون فانه يكون منصوصا عن الرسول

فالمخالف

فالمخالف لهم مخالف للرسول كما ان المخالف للرسول مخالف لله ولكن هذا يقتضي ان كل ما اجمع عليه قد بينه الرسول وهذا هو الصواب فلا يوجد قط مسئلة مجمع عليها الا وفيها بيان من الرسول ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الاجماع فيستدل به كما انه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص وهو دليل ثان مع النص كالامثال المضروبة في القران وكذلك الاجماع دليل اخر كما يقال قد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع وكل من هذه الاصول يدل على الحق مع تلازمهما فان ما دل عليه الاجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة وما دل عليه القران فعن الرسول اخذ فالكتاب والسنة كلاهما ماخوذ عنه ولا يوجد مسئلة يتفق الاجماع عليها الا وفيها نص وقد كان بعض الناس يذكر مسايل فيها اجماع بلا نص كالمضاربة وليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم في الجاهلية لا سيما قريش فان الاغلب كان عليهم التجارة وكان اصحاب الاموال يدفعونها الى العمال ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة كما سافر بمال خديجة والعير التي كان فيها ابو سفيان كان اكثرها مضاربة مع ابي سفيان وغيره فلما جاء الاسلام اقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اصحابه يسافرون بمال غيرهم مضاربة ولم ينه عن ذلك والسنة قوله وفعله واقراره فلما اقرها كانت ثابتة بالسنة والاثر المشهور فيها عن عمر الذي رواه مالك في الموطا ويعتمد عليه الفقهاء لما ارسل ابو موسى بمال اقرضه لابنته واتجر فيها وربحا وطلب عمر ان ياخذ الربح كله للمسلمين لكونه خصهما بذلك دون سايرالجيش فقال له احدهما لو خسر المال كان علينا فكيف يكون لك الربح وعلينا الضمان فقال له بعض الصحابة اجعله مضاربة فجعله مضاربة وانما قال ذلك لان المضاربة كانت معروفة بينهم والعهد بالرسول قريب لم يحدث بعده فعلم انها كانت معروفة بينهم على عهد الرسول كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالخياطة والحزازة وعلى هذا فالمسايل المجمع عليها قد تكون طايفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها نصا فقالوا فيها باجتهاد الراي الموافق

فليراجع صوابه لا بنيه

للنص لكن كان النص عندغيرهم وابن جرير وطايفة يقولون لا ينعقد
الاجماع الا عن نص نقلوا عن الرسول مع قولهم بصحة القياس ونحن لا
نشترط ان يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعنى كما نقل الاخبار لكن استر
موا الاجماع فوجدنا كلها منصوصة وكثير من العلما لم يعلم النص وقد
وافق بعضهم فانه قد يحتج بقياس وفيها اجماع لم يعلمه فيوافق الاجماع
وكما يكون في المسالة نص خاص وقد استدل فيها بعضهم بعموم كاستدلال
ابن مسعود وغيره بقوله واولات الاجمال اجلهن ان يضعن حملهن وقال
بن مسعود سورة النسا القصرى نزلت بعد الطولى اي بعد البقرة وقول
اجلهن ان يضعن حملهن يقتضي اعتبار الاجل في ذلك فلو اوجب عليها ان
تعتد بابعد الاجلين لم يكن اجلها ان تضع حملها وعلي وابن عباس وغيرهما
ادخلوها في عموم الايتين وجا النص الخاص في قصة سبيعة الاسلمية
بما يوافق قول ابن مسعود وكذلك لما تنازعوا في المفوضة اذا مات زوجها
هل لها مهر المثل افتى ابن مسعود فيها برايه ان لها مهر المثل ثم روا حديث
بروع بنت واشق بما يوافق ذلك وقد خالفه علي وزيد وغيرهما
فقالوا لا مهر لها فثبت ان بعض المجتهدين قد يفتي بعموم او قياس
ويكون في الحادثة نص خاص لم يعلمه فيوافقه ولا يعلم مسئلة واحدة
اتفقوا على انه لا نص فيها بل عامة ما تنازعوا فيه كان بعضهم يحتج فيه
بالنصوص اوليك يحتج بنص كالمتوفى عنها الحامل هو لا احتجوا
بشمول الايتين لها والاخرين قالوا انما يدخل في اية الحمل فقط
وان اية الشهور في غير الحامل كما ان اية القرء في غير حامل
وكذلك لما تنازعوا في الحلف واحتج من جعله يمينا بقوله لم تحرم ما
احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم قد
فرض الله لكم تحلة ايمانكم وكذلك لما تنازعوا في المبتوتة هل
لها نفقة او سكنى احتج هو لا بحديث فاطمة وبان السكنى
وبالتي في القران للرجعية واوليك قالوا ايل هي لها ودلالات هـ

النصوص

انحصار ع

النصوص قد تكون خفية فخص الله بفهمها بعض الناس كما قال علي
الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه وقد يكون النص بينا ويذهل
المجتهد عنه كنهي الجنب فانه بين في القران في ايتين ولما احتج ابو موسى
على ابن مسعود بذلك قال الحاضر ما درى عبد الله ما يقول الا انه
قال لو رخصنا لهم في هذا لاوشك احدهم اذا وجد البرد ان
ان يتيمم وقد قال ابن عباس وفاطمة بنت قيس وجابر ان المطلقة
في القران هي الرجعية بدليل قوله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا واي امر يحدثه بعد الثلاث ته وقد احتج طايفة على وجوب
العمرة بقوله واتموا الحج والعمرة لله واحتج بهذه الاية من منع
الفسخ واخرون يقولون انما امر بالاتمام فقط وكذلك امر الشارع
ان يتم وكذلك في الفسخ قالوا من فسخ العمرة الى غير حج فلم يتمها اما
اذا فسخها الى حج من عامه فهذا قد اتى بما تم مما شرع فيه فانه شرع
في حج مجرد فاتى بعمرة في الحج ولو لم يكن هذا اتماما لما امر به النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه عام حجة الوداع وتنازعوا في الذي بيده
عقدة النكاح هو في قوله او لامستم النسا ونحو ذلك مما هذا موضع
استقصايه واما مسئلة مجردة اتفقوا على انه لا يستدل فيها بنص
جلي ولا خفي فهذا ما اعرفه والحمد لله ما قال اكثرهم اذا استدلوا
على ذلك بالقران بقوله كما اخرج ابويكم من الجنة وقال ابن عباس لو
كانت الحين تظن ان الانس تسمي ابا الاب جدا لما قالت وانه تعالى
جد ربنا نقول انما هو اب لكن اب ابعد من اب وقد روي
عن علي وزيد انهما احتجا بقياس فمن ادعا اجماعهم على ترك العمل
بالراي والقياس مطلقا فقد غلط ومن ادعى ان من المسايل ما لم
يتكلم فيها احد الا بالراي والقياس فقد غلط بل كان كل منهم يتكلم
بحسب ما عنده من العلم فمن راى دلالة الكتاب ذكرها ومن راى
دلالة الميزان ذكرها والدلايل الصحيحة لا تتناقض لكن قد يخفى وجه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اتفاقهما اوضعف احدهما على بعض العلماء وللصحابة فهم في القرآن
يخفى على اكثر المتاخرين كما ان لهم معرفة بامور السنة واحوال الرسول
لا يعرفها اكثر المتاخرين فانهم شهدوا التنزيل وعاينوا الرسول فمن اتى
اقواله وافعاله واحواله ما يستدلون به على مرادهم مما لم يعرفه
اكثر المتاخرين الذين لم يروا ذلك فطلبوا الحكم فيما اعتقدوه
من اجماع او قياس ومن قال من المتاخرين ان الاجماع مستند
معظم الشريعة فقد اخبر عن حاله فانه لنقص معرفته بالكتاب
والسنة احتاج لذلك وهذا كقولهم ان اكثر الحوادث يحتاج فيها
الى القياس لعدم النصوص عليها فانما هذا اقول من لا معرفة له
بالكتاب والسنة ودلالتهما على الاحكام وقد قال الامام احمد
رضي الله عنه انه ما من مسئلة الا وقد تكلم فيها الصحابة
او في نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت جميع
اجناس الاعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة وانما تكلم بعضهم
بالراي في مسايل قليلة والاجماع فلم يكن يحتج ببدعاتهم ولا يحتاجون
اليه اذ هم اهل الاجماع فلا اجماع قبلهم لكن لما جاء التابعون كتب
عمر الى شريح اقض بما في كتاب الله فان لم تجد فبما في سنة رسول الله
فان لم تجد فبما به قضى الصالحون قبلك وفي رواية فبما اجمع
عليه الناس وعمر قدم الكتاب ثم السنة وكذلك ابن مسعود قال مثل ما قال
عمر قدم الكتاب ثم السنة ثم الاجماع وكذلك ابن عباس كان يفتي
به في الكتاب ثم بما في السنة ثم بسنة ابي بكر وعمر لقوله اقتدوا
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وهذه الآثار ثابتة عن عمر
وابن مسعود وابن عباس وهم من اشهر الصحابة بالفتيا والقضا
وهذا هو الصواب ولكن طايفة من المتاخرين قالوا يبدا المجتهد
بنظره اولا في الاجماع فان وجده لم يلتفت الى غيره وان وجد
نصا خالفه اعتقد انه منسوخ بنص لم يبلغه وقال بعضهم الاجماع

نسخه والصواب طريقة السلف وذلك لان الاجماع اذا خالفه
نص فلا بد ان يكون مع الاجماع نص معروف به ان ذاك منسوخ
فاما ان يكون النص المحكم قد ضيعته الامة وحفظت النص المنسوخ
فهذا لا يوجد قط وهو نسبة الى الامة الحفظ لما نهيت عن
اتباعه واضاعة ما امرت باتباعه وهي معصومة عن ذلك
ومعرفة الاجماع قد تتعذر كثيرا او غالبا فمن الذي يحيط باقوال
المجتهدين مخلاف النصوص فان معرفتها ممكنة متيسرة وهم انما كانوا
يقضون بالكتاب او لا بالسنة لا تنسخ الكتاب فلا يكون في
القرآن شيء منسوخ بالسنة بل ان كان فيه منسوخ كان في القرآن
ناسخه فلا يقدم غير القرآن عليه ثم اذا لم يجد ذلك طلبه في السنة
ولا يكون في السنة شيء منسوخ الا والسنة نسخته لا ينسخ السنة
اجماع ولا غيره ولا يعارض السنة باجماع واكثر الفاظ الآثار فان لم
يجد فالطالب قد لا يجد مطلوبه في السنة مع انه فيها وكذلك في
القرآن فيجوز له اذا لم يجده في القرآن ان يطلبه في السنة واذا كان
في السنة لم يكن ما في السنة معارضا لما في القرآن وكذلك الاجماع
الصحيح لا يعارض كتابا ولا سنة ثم بحمد الله وعونه وصلواته
على خير بريته محمد واله ووافق الفراغ من كتابة
هذه النسخة الشريفة نهار الاحد حادي
وعشرين من شهر الله المحرم الذي هو
عدد من شهور سنة الف ومايتين
وتسعة من الهجرة هـ
النبوية على صاحبها
افضل الصلاة
والسلام والمجد
لله رب
العالمين

شبكة الألوكة